...«اذْهَبْ فأنتَ أميرٌ عليهمْ»...

في السنة التاسعة للهجرة قدمت بعض الوفود علىٰ رسول الله ﷺ ، وكان منها وفد أهل الطائف :

عن عثمان بن أبي العاص قال: قدمتُ في وفد ثقيفٍ حين قدموا علىٰ رسول الله ﷺ ، فلبسنا حُللنا ببابه ، فقالوا: من يُمسك لنا رواحلنا؟ فكل القوم أحبّ الدخول علىٰ النبي ﷺ وكره التخلّف عنه .

قال عثمان: وكنتُ أصغرهم فقلتُ: إن شئتم أمسكتُ لكم علىٰ أن عليكم عهد الله لتُمسكنّ لي إذا خرجتم ، قالوا: فذلكَ لكَ ، فدخلوا عليه ثم خرجوا ، فقالوا: انطلق بنا ، قلتُ: أين؟ قالوا: إلىٰ أهلك ، فقلتُ: خرجتُ من أهلي حتىٰ إذا حللتُ بباب النبي ﷺ أرجعُ ولا أدخلُ عليه ، وقد أعطيتموني ما قد علمتم؟!

قالوا: فأعجلْ فإنا قد كفيناك المسألة فلم ندَعْ شيئاً إلاّ سألناه ، فدخلتُ فقلت: يا رسول الله ، ادع الله أن يُفقهني في الدّين ويُعلّمني ، قال: «ماذا قلتَ؟» فأعدتُ عليه القول ، فقال: «لقد سألتني عن شيءٍ ما سألني عنه أحدٌ من أصحابك ، اذهبْ فأنت أميرٌ عليهم وعلىٰ من يقدَمُ عليك من قومك»[1] .

. . . ولما همَّ عثمان بن أبي العاص الثقفي رضي الله عنه أن يلحق بقومه ، قال له رسول الله ﷺ: «أُمَّ قومك» ، قال: قلتُ: يا رسول الله! إني أجدُ في نفسي شيئاً ، قال: «ادْنُه» ، فجلّسني بين يديه ، ثم وضع كفّه في صدري بين

---

(١) أخرجه الطبراني في الكبير: [مجمع الزوائد للهيثمي: ٩/ ٣٧٠].

ثديّ ، ثم قال: «تحوّل» ، فوضعها في ظهري بين كتفيّ ، ثم قال: «أمّ قومك ، فمن أمَّ قوماً فليخفّف؛ فإن فيهم الكبير، وإن فيهم المريض ، وإن فيهم الضعيف ، وإن فيهم ذا الحاجة ، وإذا صلّىٰ أحدكم وحده فليُصلّ كيف شاء»[1].

أجل يا رسول الله ، يا رحمةً مهداة!.

فأنت الذي علّمت الناس أن ييسّروا ولا يعسّروا ، ويبشّروا ولا ينفّطوا ، ونهيتهم عن التنطّع ونحو ذلك.

وهذا درسٌ نبويّ بليغ للناس كافة ، وللمتصدّرين للدعوة خاصة ، وذلك من أجل مراعاة المريض والعاجز والكبير والطفل. . . ، فصلوات الله عليك يا نبيّ الله:

وكيف تأبىٰ جَنْيَ أوصافه همـمٌ ... يروقها من قطوف العزّ تذليلُ
وليس يُدرك أدنىٰ وصفه بشرٌ ... أيقطع الأرض ساعٍ وهو مكبولُ
كل الفصاحة عيٌّ في مناقبه ... إذا تفكّرتَ والتكثيرُ تقليلُ
لو أجمع الخلق أن يُحصوا محاسنه ... أعيتهمُ جُملةٌ منها وتفصيلُ

* * *

(١) صحيح مسلم: ١/ ٣٤١ ، مسند أحمد: ٤/ ٢١.